

الجزء الثاني

الجوانب التربوية عند فقهاء الشافعية

من خلال كتاب طلقات الشافعية للإمام السكندر

التعريف بالإمام السبكي وكتابه الطبقات

نسبه ومولده:

هو تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي الشافعي.

ولد بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسعمائة وسمع بمصر من جماعة ثم قدم دمشق مع والده في جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وسبع بها من جماعة واشتغل والده وغيره وقرأ على الحافظ المزي ولازم الذهبي وتخرج به (١).
علمه:

أمعن في طلب الحديث، وكتب الأجزاء والطنباق مع ملازمة الاشتغال بالفقه والأصول، والعربية، حتى مهر وهو شاب. وخرج له ابن سعد مشيخة حدث بها وأجاد في الخط والنظم والنثر، وشرح مختصر ابن الحاجب، ومنهاج البيضاوي، وعمل في الفقه التوشيح والترشيح، ولخص في الأصول جمع الجوامع وعمل عليه منع الموانع وعمل القواعد المشتملة على الأشباه والنظائر، وكان ذا بلاغة وطلاوة اللسان، عارفاً بالأمور، وانتشرت تصانيفه في حياته (٢).

وقد شهد له العقل والنقل بأنه في السن، كهيل العلم والحلم والعقل (٣).

-
- (١) ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح، عبد الحي، ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب، بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩م، ١٣٩٩هـ، ج ٦، ص ٢٢١.
- (٢) المسقلاني، (أحمد بن حجر، ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط ٢، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م، ص ٤٠.
- (٣) الصندي، صلاح الدين خليل أنيك، الوافي بالوفيات، بيروت، المعهد الألماني، ١٩٩٣م، ج ١٩، ص ٣١٦.

شيوخه:

سمع من القدسي وطلبته بمصر. ومن نبت الكمال وابن تمام والمزي وأجاز له الحجار، واخذ عن والده والشيع أثير. أبي حيان وغيرهما، وسمع الحديث الحافظ شمس الدين الذهبي وتخرج^(١).

المناصب التي تولاها الإمام تاج الدين السبكي:

درس في غالب مدارس دمشق وناب عن أبيه في الحكم ثم استقل به باختيار أبيه وولي دار الحديث الأشرفيه بتعيين أبيه وولي توقيع الدست في سنة ٧٥٤هـ، وولي خطابة الجامع. وانتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام.

وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة مرة بعد مرة وهو مع ذلك في غاية الثبات، ولما عاد إلى منصبه صرح عن كل من أساء إليه. وكان جواداً مهيباً. وكان أول ما ولي القضاء في حياة أبيه في ربيع الأول سنة ٥٧٠هـ ثم عزل في شعبان سنة ٩هـ وولية أبو البقاء، ثم أعيد في أول شوال^(٢).

أشهر مصنفاته:

لقد صنف الإمام تاج الدين السبكي عدة مصنفات من ذلك مختصر ابن الحاجب، شرح منهاج البصارى، وجمع الجوامع في الأصول، والتوشيح في الفقه وطلقات الشافعية في ثلاث مصنفات، كبرى ووسطى وصغرى وكتاب الأشهاد والظواهر، وغير ذلك، وكان له نظم ونثر وإنشاء^(٣).

(١) ابن تعري بردى وجمال الدين أبو المحاسن، المنهل الصافي، تحقيق محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

(٢) العسقلاني، الدرر الكامنة، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٠.

(٣) بن تعري بردى، المنهل الصافي، مرجع سابق، ج ٧، ص ٣٨٦.

وفاته:

توفي الإمام تاج الدين السبكي في الدهشة ظاهر دمشق في يوم الثلاثاء
سابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، ودفن بسبع قاسيون عن أربع
وأربعين سنة... رحمه الله تعالى^(١).

القيمة العلمية لكتاب طبقات الشافعية الكبرى:

بعد كتاب طبقات الشافعية إحدى الموسوعات العربية ينهل منها كل من
يطلب المعرفة، وينشد فيها كل متخصص حاجته. فقد جمع فيه الإمام تاج الدين
السبكي عصارة فكره وعلم فقهاء أفراد أسهموا في نشر العلم على مر العصور من
فقه وفكر وشعر ومناظرة وتراجع لرجال ربما يعز على المنقب وجدانها.

وقد اشتمل هذا الكتاب على مقدمة، وسبع طبعات في عشر مجلدات
يترجم في كل طبعة منها أعلام مائة سنة.

- فاحتوى الجزء الثاني على أعلام الطبقة الثانية فيمن جالس الشافعي
وسمعوا منه.
- الجزء الثالث احتوى على الأعلام الطبقة الثالثة فيمن توفي بين الثلاثمائة
والأربعين.
- الجزء الرابع احتوى على الطبقة الرابعة فيمن توفي بين الأربعين
والخمسين.
- الجزء الخامس احتوى على الطبقة الخامسة فيمن توفي بين الستين
والسبعين.

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ٣٨٦.

- الجزء السادس: احتوى على أعلام الطبقة الخامسة.
- الجزء السابع: احتوى على بقية الطبقة الخامسة.
- الجزء الثامن: احتوى على أعلام الطبقة السادسة.
- الجزء التاسع: احتوى على أعلام الطبقة السابعة فيمن توفي بعد السبعمئة.
- الجزء العاشر: احتوى على أعلام بقية الطبقة العاشرة فيمن توفي بعد السبعمئة.

أما المقدمة فقد استوفى فيها ابن السبكي مباحث عدة وناقش مسائل في الحديث، ونقد الرجال، والنحو، وكان يعرض لقضايا علم الكلام فيقدمها ويبيِّن في الآراء استقصاء شامل وسرد منجحي، ثم ينتصر لرايه ورأي الأشاعرة أحر الأبر.

ومناقشة آراء العلما في رواية الشعر وإشاده وسماعه وحرص على أن يذكر في المقدمة طبقات الرواة، الدين عنهم أخذ وبطريقهم أسند؛ وافتتح بنسب الله والبناء عليه واستمرَّد في ذلك وقد قام الإمام تاج الدين السبكي بترجمة حياة هؤلاء الفقهاء ومواليدهم ووفياتهم وعلوهم ومداهم أحياناً وأساليبهم في التعليم وذكر بعض أشعارهم.

وقد اعتد تاج الدين في ترتيبه كل طبقة على حروف المعجم وبدأ بذكر الأحمدين ثم المحمدين، يميناً وتبركاً.

الجوانب التربوية عند فقهاء الشافعية

تعريف بالمذهب الشافعي وصاحبه:

الإمام الشافعي:

مولده ونسبته:

ولد الإمام محمد بن إدريس الشافعي في سنة (١٥٠هـ) سنة وفاة أبي حنيفة... وقد ولد في غزة ثغر فلسطين عند مشارف مصر ومشارف الشام، وكان أبوه قد خرج إليها في حاجة أو بين جند الثغور، ومات بعد مولده بقليل، وقديماً في رحلة صيف إليها. مات هاشم جد الرسول عليه الصلاة والسلام، واخو المطلب جد محمد بن إدريس، ودفن بها، فسميت "غزة هاشم" (١).

وهكذا نرى أن الشافعي قد ولد من أب قرشي نسيب، ولكنه مات والشافعي في الهند، وشأ فقيراً، وقد حشيت أمه أن يضيع حقه في بيت مال المسلمين في سهم ذوي القربى. لذا حملته أمه إلى مكة (٢).
طلبه للعلم:

ابتدأ الإمام الشافعي بالاتجاه إلى طلب العلم، وهو في كنف أمه بغيره، فاستحفظ القرآن الكريم، ولما ذهب إلى مكة اتخه إلى تلقي أحاديث رسول الله ﷺ من شيوخ الحديث بها، وكان حريصاً على حفظها وكتابتها أحياناً على الخرف وأحياناً على الجلود، ثم أنه خرج من مكة إلى البادية فالزم هزبلاً وتعلم كلامها وأحبارها وأشعارها، وتعلم العربية وتفصحه فيها وقد اتخه بعد ذلك للعلم بكليته، فطلب الفقه والحديث من الفقهاء والمحدثين بمكة حتى صار يشار إليه بين

(١) عبد الحلیم الجندي، الإمام الشافعي، القاهرة، دار المعارف، ط٣، د ت، ص ٢٧.

(٢) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ج ٢، ص ٢٦٦.

شبابها، واحتصه العلماء والمحدثون كسفيان بن عيينه ومسلم بن خالد الزنجي بفضل رعاية وتقدير^(١).

حتى أنه جلس للفتيا صغيراً.

روى الزبيع بن سليمان المرادي - وهو من أهم فقهاء المذهب الشافعي ومؤثقيه - قال: سمعت الحميدي يقول: سمعت الزنجي ابن خالد (يعني مسلم بن خالد الزنجي) يقول للشافعي: "أفت أبا عبد الله؛ فقد - والله - أن لك أن نفني"؛ وهذا من خمس عشرة سنة^(٢).

وقد نزل الشافعي بمصر على بي عبد الحكم الدين كانوا دعامة قوية لدهنه، وبتصلبهم وفضل غيرهم من التلاميذ كالبيوطي وابن القاسم داع المذهب في مصر وانتشر، ووصل إلى ذروة قوته في أيام الدولة الأيوبية التي جعلته مذهباً للدولة واحتصته بالقضاء فيها. وقد ساد المذهب في الشام بعد أن تولى قضاءها أنور زرة الدمشقي، وكذلك انتشر في بغداد.

صفات الشافعي

كان حيد التعبير، أبلغ الحجة، قوي المنطق، بلغ الغاية في الشجاعة وحيوية الرأي.

أشهر أصحاب الشافعي: المري - البيوطي^(٣).

(١) محمد ابو رهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٢٩

(٢) الرازي (أبي محمد بن أبي حاتم، ت ٣٢٧)، أدب أدب الشافعي ومناقبه، تحقيق محمد الكوثري، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)، ص ٣٩.

(٣) محمد مصطفى أمياي، الحديث في تاريخ الفقه الإسلامي، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٦ م، ص ١٧٣-١٧٨.

الجوانب التربوية عند فقهاء الشافعية:

إن المتأمل لتراجم فقهاء المذهب الشافعي من خلال كتاب الطلقات للإمام تاج الدين السبكي يرى ملامح كثيرة للجوانب التربوية من حيث اهتمامهم بالعلم والتعليم وبالعلم وإعداد لهيئة التعليم وعلاقة المعلم بتلاميذه وطرق ووسائل التدريس ومؤسساته. وهذا ما سنحاول الحديث عنه في هذا الفصل المتواضع وهي بثمره جهود الباحثة بتوجيه وإرشاد من أستاذها الفاضل.

أولاً: أهمية العلم والتعلم:

لقد اهتم فقهاء الشافعية بالعلم والتعليم أيما اهتمام وجعلوا له مكانة سامية مما جعلهم يتفانوا في الجد والمراظنة على تحصيله وسنتناول هذه الناحية من زوايا ثلاث:

- حرصهم على مواصلة طلب العلم.
- حرصهم على تعلم العلم ونشره.
- حرصهم على أخذ العلم من أفواه العلماء (الشيوخ).

ثانياً: الحرص على مواصلة طلب العلم:

لقد حرص الشافعية على الجد والمواظنة على طلب العلم وتحصيله "وحد حط ابن القليوبي في كتابه (العلم الظاهر) كان الشيخ تاج الدين الحموي... كثير الاشتغال بالعلم. دائم التحصيل وسمعت الشيخ الإمام الحافظ زكي الدين عد العليم يقول: "دخلت عليه يوماً وهو في تنسرب تحت الأرض لأجل شدة الحر وهو يشتغل قال فقلت له. في هذا المكان وعلى هذا الحال. فقال: إذا لم اشتغل بالعلم ماذا أصنع" (١).

(١) السبكي، (تاج الدين، أبي نصر بن علي بن عبد الكافي، ت ٧١١هـ)، طلقات الشافعية الكبرى، تحقيق

فيذا إن دل على شيء فهو يدل على حبه الشديد للعلم وحرصهم على تحصيله فيما كانت الظروف والأحوال فهذا الحموي لم تمنعه شدة الحر من أن ينزل تحت الأرض ليتمكن من العلم والاشتغال به.

فكانوا لا يذهبون ساعة من أعمارهم إلا في اشغال أو اشتغال فهذا أحد فقهاءهم وهو فخر الدين النوقاني يقول عنه ابن السكي "كان لا يذهب ساعة من عمره إلا في أشغال أو اشتغال. أو نسخ أو مطالعة".

وكانوا لا يحدون غير العلم صاحباً: "فقد جمع أبو القاسم ابن عساكر نفسه على أشغال العلوم لا يتخذ غير العمل والعدل صاحبين وهما منتهى أربه.

'حتى في يوم ما طر لم يمنعهم المطر من الدهاب للإمام الخسروشاهي لسناء كلامه حيث أتوا جحيباً ووقفوا تحت طاقة للإمام، ووضعوا على رؤوسهم كساءً ينفع وصول المطر، وفتحوا (المحصل) وشرع واحد يقرأ ثم واحد، والإمام لا ينفي رأسه من آخر الكوفة إلا لمن يرتضيه، فمنهم من يجيبه ومنهم من يقرأ إلى آخر درسه، والإمام لا يلتفت إليه تديناً منه - يرحنه الله - على الآداب، ويعريفاً لمقدار العلم وأنه يعز وإن اقتحم ذو العزيمة الأهوال. وطن أن همته تعلو السحاب" (١)

عهم ينظرون للعلم والتعلم نظرة تقديس وإحلال ذلك أن العلم يعر صاحبه ويرفعه إلى منزلة كريمة لذلك فهو حدير أن يركب الأخطار وتفتحم الأهوال من أجل تحصيله كما فعل هؤلاء الطلبة مع الحسدوشاهي - أحد فقهاء الشافعية - حيث لم تمنعهم سوء الأحوال الجدية من طلب العلم.

(١) السكي، طبقات الشافعية، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٦.

وقد بلغ من أغرازهم للعلم والتعليم أن لا يجاملوا أحداً على حسابه، يقول
 السبكي: "بلغني أن سلطان مصر حضر عند المسلمين للسمع فجعل يتحدث مع
 أخيه فزبرهما وقال: أيش هذا نحن نقرأ الحديث وأنتما تتحدثان" (١).
 فلم يمنع الإمام السلفي كون الشخص غير المنصت السلطان أو غيره بل أنه
 نهاهما عن الحديث احتراماً وتقديراً للعلم الذي يتعلم وهو حديث رسول ﷺ.
 وهاهو الإمام أبي الحسن الفارقي يحث ويرشد الطلبة إلى شكر كل من
 يعلمهم فائدة في العلم.

من شعرة:

إذا أفادك إسان فائدة

من العلوم فأكثر شكره أداً

وقل فلان حراءه الله سالحة

أفادنيها وأنتي الكبر والحماد. (٢)

وهذا يدل على تعظيمهم لأمر العلم والتعلم ونظراً لما للعلم من فائدة في
 الدنيا والآخرة كان لابد من شكر كل من يعلمي شيئاً من العلوم ولو كانت معلومة
 بسيطة جداً.

"حتى أن محمد بن عبد الملك الكرجي، قال فيه ابن السمعاني أنه أفنى
 طوال عمره في جمع العلم ونشره" (٣).

وهذا الفقيه الشافعي علي بن عبد الكافي السبكي كان من الاشتغال على

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ٣٦.

(٢) نفس المرجع، ج ٦، ص ١٣٧.

(٣) نفس المرجع، ج ٦، ص ١٣٨.

حائب عظيم بحيث يستغرق غالب ليله وجميع نهاره... كان يخرج من البيت صلاة الصبح فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قريب الظهر فيجد أهل البيت قد عملوا له فروجاً وباكلاً، وكان الله تعالى قد اقام والده ووالدته للقيام بأمره فلا يدري شيئاً من حاله، ثم زوجه والده بابنة عمه وعمره خمس عشرة سنة والزمها أن لا تحدثه في شيء من أمر نفسها وكذلك ألزمها والدها وهو عمه الشيخ صدر الدين فاستمرت معه ووالده ووالدها يقومان بأمرهما، وهو لا يراها إلا وقت النوم وصحبته مدة ثم أن والدها بلغه أنها طالنته بشيء من أمر الدنيا، فخلبه وحلف عليه بالطلاق ليطلقها طلقها، فانظر إلى اعتناء والدك وعنه بأمره وكان ذلك خوفاً منهما أن يشتغل باله بشيء غير العلم" (١).

نتخلص مما مر بنا من موقف والدي ابن سليم السبكي الأمور الآتية:
مدى اهتمام الأهل وحرصهم على تحصيل أبنائهم للعلم، فكان والديه يقومان بخدمته لينفرغ هو للعلم.

حرص الأهل وأولياء الأمور بعدم شغل أبنائهم طلحة العلم بأي أمر من أمور الدنيا وهذا يظهر من أن والده ويروجه ابنة عمه، وألزمها أن لا تحدثه بأمر من أمر نفسها وكذلك والدها ألزمها بذلك.

يقع على عاتق أولياء الأمور توفير بيئة مناسبة للتعليم وإزالة كل العوائق التي من شأنها أن تصرف طالب العلم عن التحصيل، لذلك نرى أن والدها عندما علم أنها طالنته بأمر من أمير الدنيا طلب منه وأصر على طلاقها، حتى لا ينشغل باله بشيء غير العلم.

(١) نفس المرجع، ج ١٠، ص ١٠٦

فهذا يدل على إدراكهم أهمية العلم وأنه يغني الإنسان عن أي شيء آخر في الحياة فبالعلم يحظى الإنسان بالمكانة العالية.

ونظراً لأهمية العلم عند فقهاء الشافعية وحتى يحقق طالب العلم الأجر والمنفعة، من هذا العلم فهم يشترطون فيه:

إخلاص النية في طلب العلم، لذا يقول الإمام علي بن عبد الكافي السبكي:
ومن سهر الليال على الأقدام يس مسرور الآمام
وأخلص النية في الأعمال لصانع العالم دي الحلال
فهو يرشد طالب العلم إلى إخلاص النية لله تعالى.

العمل بالعلم، يقول علي سمير الكافي السبكي شعراً:
وتروح العلم تباح العمل مـرين نـليلة الحلال^(١)
فهو يرى أنه لا بد من تنسيق العلم بالعمل. مقترناً بالنية الخالصة لوجه الله تعالى.

ثالثاً: الحرص على تعليم العلم ونشره:

كما أن فقهاء الشافعية قد حرصوا على تحصيل العلم فإن حرصهم على تعليمه للناس ونشره لم يكن أقل أهمية.

لذا فقد اشتغل فقهاء الشافعية بتعليم العلم معظم أوقاتهم ولم يصروهم عن ذلك الظروف والأحوال ولا حتى حرفهم التي كانوا يتكسبون منها معاشهم.

يقول القاضي يحيى بن القاسم مدرس النظامية كان ابن سكينه لا يضيع شيئاً من وقته وكنا إذا دخلنا عليه يقول لا تزيدوا على سلام عليكم لكثرة حرصه

(١) نفس المرجع، ج ١٠، ص ٣٤٧.

على المناحثة وتقرير الأحكام، فكانت أوقاته محفوظة، وكلماته محدودة لا تمضي له ساعة إلا في قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف^(١).

وقيل أن السلفي ما خرج إلى بستان ولا فرجة غير مرّة واحدة بل كان عامة دهره ملازماً لمدرسته، ولم يزل يقرأ عليه الحديث إلى أن غربت الشمس ليلة وفاته وهو يرد على القارئ للحن الخفي، وصلى يوم الجمعة الصبح عند انفجار الفجر وتوفي عقبه فجأة^(٢).

لأنه رده يذاكر العلم حتى في لحظات نزعته - هؤلاء هم من نذروا أنفسهم للعلم فأصبحوا علماء أقداد وقادة العلم وسادته - هم أخلصوا النية والعمل فانقاد لهم العلم وأضاء حياتهم.

"وهذا الإمام الغزالي يتخذ في حوار مدرسته لطلبة العلم وخانقاه للصوفية إيماناً منه بأهمية نشر العلم بين الناس.

وكان قد وزع أوقاته على وطائف الحاضرين من حتم القرآن ومحالسة أهل القلوب والتعود للتدريس بحيث لا تحلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن صائدة إلى أن أصابه عين الزمان وخنت به الأيام على أهل عصره"^(٣).

ولم يكن الإمام القونيني أقل همة وشأطاً في تعليم العلم من الإمام العرالي.

"كان إذا طلع العجر خرج من مسكنه للصلاة بسكون ووقار ثم يستمر في

إعادة الطلعة إلى منتصف النهار"^(٤).

(١) نفس المرجع، ج ٨، ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٢) نفس المرجع، ج ٦، ص ٣٧.

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص ٢١٠.

(٤) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٣٣.

لقد وهبوا أنفسهم وأوقاتهم كلها في تعليم العلم ونشره بين الناس ولم يمنحهم منه حتى طلب المعاش والرزق فكانوا يستغلون كل ساعة وكل لحظة في التعليم. كان أبو مطرف الفرض له دكان في سوق الريحانيين، يبيع فيه العطر والأدوية، وكان الفقهاء يقرأ عليه الفرائض في دكانه^(١).

ويروي السبكي أن ابن ملكداد بن علي العمركي واسمه محمد مات في عنفوان الشباب، وهو فاضل حسن المنظر والمخبر قال. فبلغني من قوة الشيخ وتسليمه أنه حضر الجامع بكرة على عادته لإلقاء الدروس، فأنته زليخا بنت القاضي أبي سعد الطالقاني، وهي حذتي أم أبي. وكانت تحته حينئذ فأخبرته بوفاته فأمرها بتحضيره ولم يذكر الحال للحاضرين حتى فرغ من درسه، ثم قال. إن محمداً قد دعي فأجاب، فمن أراد فليحضر الصلاة عليه^(٢).

نستج من هذه القصة ما يأتي:

- صبر الشيخ وتسليمه لقضاء الله وقدره فلم يمنعه موت ابنه من الحضور إلى الجامع لإلقاء دروسه.

- تقديم أمر العلم على أي أمر من أمور الدنيا مهما عظم.

- حرصه على عدم شغل بال طلابه بالأمر فلم يخبرهم بحالة وفاة ابنه حتى لا يصرف أذهانهم عن تلقي العلم.

ربما يكون بهذا يريد أن ينبه طلابه إلى قدر وأهمية العلم ويحضهم على مواصلة تحصيله ولا يمنعهم عنه أي أمر وذلك بالقدوة الحسنة لأن المعلم هو قدوة

(١) المرجع السابق، ج٦، ص ١٥٠.

(٢) المرجع السابق، ج٧، ص ٣٠٢.

لتلاميذه يقلدونه في كل شيء، في حركاته وأخلاقه وهمته ونشاطه. بدليل أنه أخبرهم بعد أن فرغ من درسه.

رابعاً: الحرص على تلقي العلم من أفواه العلماء (الشيوخ):

ونظراً لحرص فقهاء الشافعية على العلم فقد وجهوا الناس لأخذ العلم عن

الشيوخ لا من بطون الكتب وحدها.

أشهد أبو حيان محمد بن حبان النفري:

يظن العمر أن الكتب تجدي أتسادهن لإدراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها عوامس حيرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بعير شيخ صلت عن الصراط المستقيم
وتلتس الأمور عليك حتى تفسر أصل من توما الحكيم (١)

في هذه الآيات يدين الإمام النفري أهمية وجود المعلم وفائدته بالنسبة

للتعليم والمتعلمين.

أهمية وجود معلم (شيخ).

- لا يمكن الاعتماد على أخذ العلم من بطون الكتب مهما كان الطالب وقاد
الدهن.

- للتعلم أهمية في شرح الغامض من المعارف والعلوم ومن يطلب العلم بلا معلم
(شيخ) يضل عن الطريق المستقيم وقد تنحرف به الأنواء إلى ما ليس فيه حير
لنفسه ومحتمعه.

- كما أن من يطلب العلم بلا شيخ قد تلتس عليه الأمور فلا يعرف المخرج من
ذلك.

(١) المرجع السابق، ج ٩، ص ٢٨٦.

لذا فقد لازم فقهاء الشافعية شيوخهم لتلقي العلم وتحصيله إيماناً منهم بأن العلم لا بد له من معلم يوضح الغامض ويفسر ما يلتبس من أمور في دقائق العلوم. فقد حصل عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن أنواعاً من العلوم الدقيقة واحساب على يد والده الشيبغ ولما توفي أبوه انتقل إلى مجلس إمام الحرمين وداطلب على درسه وصحبته ليلاً ونهاراً ولزمه عشياً وأبكاراً حتى حصل طريقته في الشبغ والخلاف" (١).

فكانوا لا يملون من القراءة على الشيوخ.

كان ابن محمد النحيري يقرأ دائماً (صحيح مسلم) للغرباء والرحالة على يد الغافر الفارسي. قرأ عليه أكثر من عشرين مرة وكف بصره بأجره^(٢). وكان من حرصهم على تحصيل العلم من أفواه الرجال ظهرت عندهم الرحلة في طلب العلم وسنحاول أن نتحدث عن رحلاتهم تلك.

- الرحلة في طلب العلم:

لقد حرص فقهاء الشافعية على جمع العلوم والتأمل في دقائقها من العلماء و سرح ولم ينعم بعد كثير من الشيوخ وتفرقتهم في بلدان عدة من الجد في تحتم السفر من أجل الحصول على معلومات وفائدة في العلم. يقول الحافظ أبو سعد قرأت على ابن النجار عن شيوخه وحجبت معه إلى سمرقند وانصرفا إلى مرو وحرجنا في شوال سنة نسع وعشرين إلى بساطير وكان حريجه سبني لأنني رعيت في الرحلة لسماع صحيح مسلم^(٣).

١ - المرجع السابق، ج ٧، ص ٢١٦

٢ - المرجع السابق، ج ٧، ص ٥٢

٣ - المرجع السابق، ج ٦، ص.

يقول الإمام السبكي - رحمه الله - في حديثه عن الإمام أحمد بن علي الأصرلي، كانت الرحلة قد انتهت إليه وتزاحمت الطلاب على بابهِ حتى انتهى حاله إلى أن صار جميع نهاره وقطعة من ليله مستوعباً في الاشتغال، يجلس من وقت السحر إلى وقت العشاء الآخرة، ويتأخر أيضاً بعدها^(١).

وقد كان أهل البلاد التي يسافر إليها طلبة العلم يستقبلونهم بحرارة واعتزاز، فقد سافر الشيخ ابن تومرت في جماعته إلى يَنْمُلل فلما أتوه ورأهم أهل ذلك المكان على تلك الصورة فعلموا أنهم طلاب علم فتلقوهم وأكرموهم وأنزلوهم وحاءوا يتبركون بابن تومرت^(٢).

ومن قتهاهم من بلغت شيوخهم الآلاف:

يقول ابن النحار في حديثه عن الحافظ أبو سعد بن السمعاني سمعت من يذكر أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ وهذا شيء لم يبلغه أحد، عاد بعدما دوح الأرض سعراً إلى بلده مرو وأقام مشغلاً بالجمع والتصنيف والتحديث والتدريس^(٣).

وهذا الفقيه العالم أبو القاسم ابن عساكر سمع من حلائق وعدة شيوخه ألفاً وثلاثمائة شيخ ومن النساء نضع وثمانون امرأة، وارتحل إلى بلدان عدة إلى العراق وبكة والمدينة وأصبهان ونيسابور وزبحان وهمدان^(٤).

وكان حرصهم على الرحلة في طلب العلم من الشيوخ والعلماء يجعلهم يحتفلون أية حفوة وقسوة قد تصدر من بعض الشيوخ والعلماء.

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق، ج ٦، ص ١١٣-١١٤.

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص ١١٢.

(٤) المرجع السابق، ج ٧، ص ٢١٩.

"مقد رحل ابن سلفة السلفي إلى بغداد وأدرك نصرأ بن البطر قال فيما يحكي عن نفسه: دخلتها في رابع شهر شوال فلم يكن لي همة ساعة دحوها إلا المضي إلى ابن البطر فدخلت عليه وكان شيخاً مسرأ، فقلت: قد وصلت من اصبيان لأجلك، فقال: اقرأ جعل بدل الرء عيناً، فقرأت وأنا متك لأجل دمامل بي. فقال: أبصر ذا الكلب فاعتذرت عليه بالدمامل، وبكيت من كلامه، ثم رحل إلى النصرة وهمذان"^(١).

وكذلك كل فقهاء الشافعية اعتنوا بأخذ العلم من أفواه العلماء ورحلوا في سبيل ذلك إلى بلدان عديدة للقاء الشيوخ والتلمذ على أيديهم وما ذكرناه كان مجرد نماذج من طلبية الشافعية للتدليل على تقديسهم للعلم واجلالهم له.

- أهداف التعليم (التربية):

إن للتربية عند فقهاء الشافعية أهدافاً تسمو عن المقاصد الدنيوية. وإن كانوا لم ينفردوا بهذا الرأي. وهذه الأهداف استطاعت الباحة استخلاصها من خلال تأمل ما كان عليه هؤلاء الفقهاء من خلق ودين وعلم مما دلنا على أن أهداف التربية عندهم كانت تظهر على سلوك طلبية العلم والعلماء عندهم.

- من هذه الأهداف:

- إقامة شعائر الإسلام على الوجه المطلوب شرعاً، وتحقيق الورع في نفوسهم.

يقول السمعاني في حديثه عن أبو المظفر الفرضي أنه شيخ فاصل دین حبرله معرفة تامة بالفرائض^(٢).

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٥٠.

وهذا البروي الطوسي يعقد مجلساً للوعظ والتذكير^(١)، ولولم يكن من أهداف أهداف التعليم عندهم تعريفهم بشعائر الدين والذكر لما عقد الطوسي حلقة للوعظ والتذكير.

- ومن شعر الإمام الساجي:

ومن سهر الليل على الأقدام يس من مصور الآسام
وأسه المقصود بالعلوم عد ذوي العظيمة والفيوم
فهو يس أن المقصد من العلم هو تحقيق العبودية لله تعالى وهدده لا تكون إلا
بإقامة شعائر الإسلام على أكمل وجه.

إتقان تلاوة كتاب الله عز وجل:

وهذا الهدف نحدده واضحاً عند فقهاء الشافعية من خلال تركيزهم على تعلم القرآن الكريم وعقد المجالس والحلقات التعليمية.

فقد وزع الإمام الغزالي أوقانه على وطائف الحاضرين من ختم القرآن^(٢). وكذلك الفقيه علي بن عبد الكافي السسكي كان مواظباً على تلاوة كتاب الله مساء الليل وأطراف النهار^(٣) لدا يراههم حرصوا على تعليم قراءة القرآن الكريم وحفظه حتى يتمكن من أن يتعد تلاوته.

الترفع عن الأخلاق الذميمة:

فقد كان من أهداف التعليم عندهم تبهذيب النفوس تنخبصها من الصفات الذميمة ونعيس الأخلاق الحميدة.

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ٣٩٠.

(٢) المرجع السابق، ج ٦، ص ٢١٠.

(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٦٢.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فقد كان فقهاء الشافعية أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، ولو أدى بهم ذلك للهلاك.

"فقد كان الشيخ نور الدين البكري رجلاً أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وقد واجه مرة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بكلام غليظ فأمر السلطان بقطع لسانه^(١)."

- تحقيق الكمال الإنساني مقارنة بسائر المخلوقات، يقول الإمام علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي في قصيدة له^(٢):

كمال الفتي بالعلم لا بالمصاب ورتة أهل العلم أسمى المراتب
هم ورثوا علم السيب فاهتدى هم كل سار في الطلام وسار
ولا فخر إلا إرث شريعة أحمد ولا فضل إلا ما اكتسب المناقب

- رفع الجهل عن نفسه والآخرين، ومن قصيدة أيضاً للإمام علي بن عبد الكافي السبكي يحاطب الله:

أني لا أمل تصيحي النبي أوصيك واسمع من مقال ترشد
أحفظ كتاب الله والسب النبي صحت وفقه التسامعي محمد
وأعلم أصول الفقه علماً محكماً يهديك للحث الصحيح الآكد
وتعلم الحو الذي يدي النبي من كل فهم في القرآن مُسدد^(٣)

(١) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠، ص ١٨٠.

(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٧٧.

فهو يوصي ابنه بحفظ كتاب الله والسنن الصحيحة والعقده لأنها ترشده إلى العلم الحق الصحيح وتسدد خطاه في رحلة الحياة فلا يبقى تائباً جاهلاً. هذه بعض الأهداف التربوية التي استطاعت الناحية استخلاصها من خلال صفات هؤلاء الفقهاء ومن خلال بعض أشعارهم التي كانوا يتناقلونها. وقد رأيت الناحية عدم الإسهاب بها فلا مجال لذلك في هذه الدراسة المتواضعة.

إعداد المعلم عند فقهائ الشافعية:

علمراً لما للمعلم من مكانة سامية عند فقهاء الشافعية فقد اعتنوا بعملية اختباره واشتروطوا له شروطاً معينة لكونه المسؤول عن عملية التعليم لذا حدد المعلم عندهم نصف بعدد من الخصائص والصفات الهامة لمنهنة التدريس كما اعتنوا بالذواحي العقلية والمنبئية والأكاديمية في عملية الإعداد. وإن لم يكن هناك مؤسسات خاصة نبنت عملية الإعداد هذه.

وفد كان طالب العلم يعتبر نفسه مسؤولاً عن هذا الإعداد لقيامه بمنهنة التدريس على أكمل وجه، فلم يكن المعلم منهم يتصدى للتدريس قنل أن يصبح أهلاً لتلك المنهنة الجليلة القدر.

وسنحاول الحديث عن عملية الإعداد هذه والتي كان طالب العلم يعتني بها بنفسه أو يقدم بها المعلم من خلال وسائل التعليم ونعامله مع طلابه.

أولاً: الجوانب العقلية في إعداد المعلم:

من خلال تأملنا لتراحم فقهاء الشافعية نحدد قد اتصفوا بكبير من الصفات العقلية التي تدل على اهتمامهم بهذه الناحية، من هذه الصفات

١. الذكاء: من خلال اطلاعنا على أهم صفات فقهاء الشافعية نجد أن معظمهم اتصف بالذكاء.

"قال الحافظ السلفي في حديثه عن الطوسي. حضرت مجلس وعظه بهمذان وكنا في رباط واحد... وكان أدكى خلق الله وأقدرهم على الكلام"^(١).

ويقول الإمام السبكي في حديثه عن عبد الوهاب المراغي: وكان إماماً في علمي الكلام والأصول ذا قريحة صحيحة وذهن صحيح وذكاء مفرداً^(٢).

وفي حديثه عن علي بن عبد الكافي السبكي: كان ذهنه أصح الأذهان وأسرعها نفاذاً وأوثقها فهماً^(٣).

وفي حديثه كذلك عن الشاطبي: كان ذكي القريحة، قوي الحافظة يتوقد ذكاءً^(٤).

وكذلك في حديثه عن الإمام العلامي (ابن بنت الأعرز) كان ذكي الفطرة، حاد القريحة، صحيح الذهن... ذا رأي سديد وذهن ثاقب^(٥).

٢. مراعاتهم لنفسية تلاميذهم ورغباتهم:

حكى عن أبي الخير الطالقاني لما دعي إلى تدريس النظامية حياء بالحلقة وحوليا الفقهاء وهناك المدرسون والصدور والأعيان، فلما استقر على كرسي التدريس، وقرئت الربعة الشريفة ودعي دعاء الختمة، ألفت إلى الجماعة قبل الشروع في إلقاء الدرس، وقال: من أي كتب التفاسير تحبون أن أذكر؟ تعينوا

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٠.
(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٢٣.
(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٩٥.
(٤) المرجع السابق، ج ٧، ص ٢٧٢.
(٥) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣١٨.

كتاباً، فقال. من أي سورة تريدون؟ فعبنوا، وذكر لهم ما أرادوا، وكذلك فعل في العقه والخلاف ولم يذكر إلا ما عين الجماعة له، فعحصوا لكثرة استحضاره^(١).
ذلك أن مراعاة رغبة التلاميذ لها أثر كبير في بقاء أثر التعلم وفهم ما يقال لهم واستيعابه ونظراً لما في ذلك من إثارة لدافعتهم.

"وفي حديثه عن أحمد بن مكي، كان يقول في الدرس: عينوا آية لنتكلم علينا، فإدا عينوها تكلم بعبارة فصحة و علم عزيز كأنما يقرأ من كتاب"^(٢).

٣. الإلمام بالمادة العلمية من جميع جوانبها (غزارة العلم):
لو تتبعنا تراجم هؤلاء الفقهاء سنجد أنهم يتصفون بغزارة العلم والمأمهم بالعلوم المساعدة لتخصصهم.

يقول السكي في أبي الخير الطالقاني أنه فسر القرآن من أوله إلى آخره في ليلة واحدة، فأبلس الناس من قدة حفظه وغزارة علمه^(٣).

وهذا الإمام الغزالي يقول فيه تلميذه محمد بن يحيى الغزالي هو السافعي الناني وقال أسعد المنبي لا يصل إلى معرفة علم الغزالي وفضله إلا من نلع أو كاد يبلغ الكمال في عقله^(٤).

"وفد نلع الأمره إلى أن أخذ في التصنيف، وأحد في التصانيف المشهورة التي لم يسبق إليها مثل: إحياء علوم الدين، والكتب المختصرة منها مثل الأربعين التي من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم"^(٥).

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٠.

(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣١.

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص ١١.

(٤) المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٠٢.

(٥) المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٠٦.

ويقول الإمام السبكي كذلك في أبي أيوب اليماني الفاشي: "جمع علوماً في التفسير والقرآن والحديث واللغة والنحو والكلام والفقه والخلاف والحساب"^(١).
 "وفي حديثه عن ابن عساكر يقول: حفظاً لا تغيب عنه شاردة... وسعة علم أثرى بها وترك الناس كلهم بين يديه ذوي فاقة"^(٢).
 وهكذا نرى انهم كانوا بحاراً في العلم لا يتصدون للتدريس قدا أن يغوصوا في بحار العلم ويغترفون من كل فن.

"وقال ابن النجار: سمعت شيخنا عند الوهاب بن الأمين يقول كنت يوماً مع الحافظ أبي الحافظ بن عساكر، وأني سعد شيخنا فاستوقفه ابن السمعاني ليقرا عليه شيئاً وطاق على الجزء الذي هو سماعه في خريطته فلم يحده، وضاق صدره، فقال له ابن عساكر ما الجزء الذي هو سماعه فقال "كتاب النعت والنشور لابن أبي داود"، سمعه من أبي نصر الزيني، فقال له لا تحزن وقرأه عليه من حفظه أو بعصه"^(٣).

فهذه القصة تبي لنا ما كانوا عليه من العلم الغزير. "وهذا الإمام أبي السعادات عبد الدهان النحوي الضرير كان متضلعا في علوم كثيرة، إماماً في النحو واللغة، والتصريف والعروض، ومعاني الشعر، والتفسير والإعراب، وتعليل النقرات، عارفاً بالفقه والطب، وعلم النجوم، وعلوم الأوانل"^(٤).
 كيفية إعدادهم لهذا الجانب:

أما عن وسائلهم لتنمية الجوانب العقلية عند المعلمين فكانت تتم وهو في مراحل التعليم الأولى من خلال تركيز المعلمين على أساليب التعليم التي من شأنها

١٠ - مرجع السابق، ح ٧، ص ٨٥.

١١ - مرجع السابق، ح ٦، ص ٢١٦.

١٢ - مرجع السابق، ح ٧، ص ٢١٩.

١٣ - مرجع السابق، ح ٨، ص ٣٥.

تنمية الجوانب العقلية ومن ذلك:

- إعطاء الفرصة للطلبة للمناقشة والاعتراض ولكن بسورة غير غحلة بالآداب.
"يقول أبو الخير الطالقاني مضيت مع محمد بن يحيى إلى الشيخ
عبد الرحمن الأکاف الراهد فلما جلس مع الشيخ عبد الرحمن تكلم الشيخ عبد
الرحمن في شيء من مسائل الخلاف والجماعة ساكتون تأدباً معه وأنا لصغر سني
وحدة ذهبي اعترض عليه وأنازعه والفقهاء يثيرون إلي بالإمساك وأنا لا ألتفت".
فقال لهم الشيخ عبد الرحمن دعوه فإن هذا الكلام الذي يقوله ليس هو منه
إما هو من الذي علمه (١).

"ويقول الإمام السبكي في أحمد بن مكي إذا حضر عند أحد درسا سكت إلى
أن يعرف ذلك المدرس، ويقول ما عنده مما بينه، فيبدأ ابن مكي ويقول ذكر مولانا
كبت وكبت ويذكر جمع ما ذكره ثم يأخذ في الاعتراض والبحث" (٢).
- تركيزهم على أسلوب المناظرة في التعليم وتشجيع طلبة العلم على
المناظرة

وهذا الإمام أبو المظفر الخوافي على إمام الحرمين ولازمه فكان من عطماء
أصحابه وأخصاء طلابه يداكره في ليلة ونهاره ويسامره عابسة إذا دحا الليل وماح
في أسراره والإمام يعحب مصاحته وينتج على حسن مناظرتة ويصفه بالفصل (٣)
- عدم اقتنارهم على علم بل كانوا يشغلوا الطلبة بكافة العلوم
"يقول الإمام الذهبي في الشيع نوح الدين التبريري كان ماهراً في علوم
شتى .. ولارم شغل الطلبة بأصناف العلوم" (٤).

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٠

(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣١

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٣

(٤) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٤٤

وكذلك الإمام أبو بكر بن الدهان النحوي الضرير كان جيد القريحة، متضلماً في علوم كثيرة، إماماً في النحو واللغة والتصريف والعروض، وهعاني الشعر، والتفسير والإعراب وتحليل القراءات، عارفاً بالفقه والعلب، وعلم النجوم، وعلوم الأوائل^(١).
فالمعلم الذي يتقن كل هذه العلوم لا بد أن يشغل طلبته بنصيب من كل هذه العلوم حرصاً منه على أن يكون غزير العلم كثير الاطلاع ليكون معلماً ناجحاً في المستقبل.

الإعداد الخلقى والإعداد الديني:

لقد حظي الجانب الديني والأخلاقي باهتمام شديد في عملية إعداد المعلم عند الفقهاء ومنهم فقهاء المذهب الشافعي فمن خلال دراستنا لحياة وسيرة هؤلاء الفقهاء من خلال كتاب الطلقات نجدهم قد اتصفوا بصفات خلقية ودينية كثيرة مما يدل على اعتنائهم الشديد أثناء التعليم على الإعداد الجيد لهذين الجانبين وسنتحدث عنها شيء من الإيضاح.

أهم الصفات الدينية والخلقية عندهم:

- دوام مراقبة الله تعالى والخوف منه:

ينده صفة اتصف بها فقهاء الشافعية: يقول الإمام السبكي في الشرح أبو المظفر الخوافي... وكان ديناً ورعاً ناسكاً^(٢).

وعن أبي الحسن المقرئ يقول في الإمام الديباجي: ما سعد كرسي وعط فيما رأيناه لا أعلم ولا أعف ولا أروع من الشريف الديباجي^(٣).

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٥٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٣.

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص ٨٨.

يقول الإمام السمعاني في الجنيد بن محمد القابلي: كان إماماً فاضلاً متمنياً ورعاً... كثير العبادة، دائم التجهد (١).

وفي بن زيد الليثي يقول ابن السماني... كان يذنب املاءً بالوعظ النافع المفيد، وتخرج عليه جماعة كثيرة من الفقهاء والعلماء (٢). وهذا يدل على اهتمامهم بعقد مجالس للوعظ في أمور الدين والتقوى والخوف مما يؤثر عنايتهم بالجانب الديني للمعلم.

صيانة العلم (عدم إذلال العلم والمحافظة على كرامته ووقاره فكانوا يتعدون عن مواطن التهم وإن بعدت، وبالذات الانتعاد عن قصور الخلفاء والسلاطين وذلك لما لمحيء العلماء لهؤلاء من حطر كبير من حيث احتمال انزلاق العلماء في محارات وممالأة ومنافقة أصحاب الجاد والسلطان وإضفاء الصفة الشرعية على كثير من ممارستهم الخُلاً.

ويقول السمعاني في الفقيه أبو القاسم الحاکمي... كثير العبادة... لازم للسنّة، غير ملتفت إلى الأمرء وأبناء الدنيا (٣).

وقال السمعاني في الإمام الجنيد يقول: إن السلطان أرادني على عمل لم أكن أطيعه وحسني... فاحترت سلامة الدين ولم أتعرض بشيء من الدنيا شيء من ديني وصنعت العلم عما لا يليق به (٤).

وهذا أبو العباس الموصلي يقول عنه الإمام السكي "وكان السلطان ومن دونه

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ٥٥

(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ١٢٩

(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص ٤٩

(٤) المرجع السابق، ج ٧، ص ٥٦

يزودونه، ولا يعبا بهم وكان لا يقبل من أحد شيئاً (١).

ومن شعر الإمام الطوسي:

إذا صححت الملوك فالبس مس التوقي أعزّ ملبس
وإدحل إذا ما دخلت أعمى وأخرج إذا ما خرجت أحرم (٢)

الزهد بالدنيا والتقلل منها قدر الإمكان بما لا يضر بقسه وعياله:

فهؤلاء الفقهاء اتسموا بسمة الزهد، يقول الإمام السبكي في الشيخ البغوي:
كان إماماً ورعاً زاهداً، وكان رجلاً مخشوشناً يأكل الخبز وحده فعذل في ذلك فصار
يأكله بالزيت... (٣).

وفي الإمام أبو الحسن الواعظ يقول: كان والده من المتقدمين في الدنيا
بواسطة، وترك هو ما كان عليه والده وأهله، وطلب العلم وتزهد وسلك طريق الفقر
والتجريد، وأكل الجشب ومجاهدة النفس (٤).

وهذا الفقيه أبو البركات ابن الأنباري النحوي كان له من أبيه دار يسكنها
وحانوت ودار مقدار أجرتها نصف دينار في الشهر يقنع به ويشترى منه ورقاً، وسير
إليه المستضيء خمسمائة دينار مردها، فقالوا له: اجعلها لولدك، فقال: إن كنت
خلقتنا فأنا أرزقه (٥).

وكذلك الإمام الزاهد أبي حامد الغزالي كان له من الأسباب إرثاً وكسباً ما
يقدم بكفايته ونفقة أهله وأولاده فما كان يباسط أحداً في الأمور الدنيوية. وقد

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٤٢.

(٢) المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص ٧٥.

(٤) المرجع السابق، ج ٧، ص ١١٣.

(٥) المرجع السابق، ج ٧، ص ١٥٦.

عرضت عليه أموال فما قبلها، وأعرض عنها، واكتفى بالقدر الذي يصون به دينه، ولا يحتاج معه إلى التعرض لسؤال ومنال من غيره (١).

فهم بهذا الخلق كان قدوة لطلابهم مما يسهم في إعداد الجانب الديني والأخلاقي لعلم المستقل.

- أن يظهر باملنه وظاهره عن الأخلاق الرديئة ويعمره بالأخلاق الفاضلة:
مثل الابتعاد عن الغيبة والنميمة.

لدا يقول الإمام السكي وقد كان الشيخ الإمام - رحمه الله - لا يغتاب أحداً لا ابن الكثنائي ولا غيره (٢).

ومن الأخلاق الحميدة، حسن الخلق، الصبر والقناعة والشعقة والحلم.
لدا جاء في ترجمة الإمام علي بن عبد الكافي السكي ... وأدب أعذب في القبل من الماء الرلال، وحلم لا يستقيم معه الأحص لم أرد انتقم لنفسه مع القدرة ولا شمت بعدو بعد النصرة بل يعفو ويصفح عن أحرم (٣).

الميزة الكبرى في أن يتخلق المعلم بمنل هذه الأخلاقيات أن يحيى قوله مطابقتاً لفعله:

لك أن التناقض في القول والفعل في شخصنة المعلم أكثر ما يبرثقة الطلاب به وبالتالي يفشل في تحقيق أهدافه لدا من خلال قراءة تنا لتراحم هؤلاء الفقهاء أنهم اتصفوا سالزمة الفعل القول "كان الشيع النغوي جامعاً بين العلم والعمل" (٤).

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ٢١١

(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٧٨

(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٥٥-١٥٩

(٤) المرجع السابق، ج ٧، ص ٧٥

"جمع الفقيه ابن زيد الليثي بين العلم والعمل" (١).

من ضوابط اختيار المعلمين الإجازة:

فمن خلال تتبعنا لتراجم هؤلاء الفقهاء وجدنا أنه لم يكن يتصدر للتدريس

إلا بإجازة من العلماء الكبار:

فهذا ابن هبة الله الجبني أجازته كل من الشيخ عز الدين بن عبد السلام،

والشيخ نجم الدين البادرائي، والحافظ رشيد الدين العطار، وأبو شامة (٢).

وهذا الفقيه أبو حاتم السكي أجازته خلق كثير (٣).

وكذلك الفقيه زين الدين بن الكثنائي: حدث عن ابن عبد الدائم ثم بالإجازة

وقرأ أصول الفقه على البرهان المراغي بدمشق وأقام بدمشق مرة ثم انتقل إلى

مصر والإمام الهمداني له إجازة من السلفي.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٨٧.

(٣) المرجع السابق، ج ٩، ص ١٢٤.

العلاقة بين المعلم والمتعلم

لقد اهتم الفقهاء بموضوع العلاقة بين المعلم والمتعلم وذلك أن الفقهاء هم من كانوا يقومون بعملية التعليم ومادة التعليم هي غالباً القرآن الكريم والحديث الشريف فلا بد هنا من شروط خاصة لطرفي العملية التعليمية.

والمنتفع لسيرة فقهاء الشافعية يلمح طبيعة العلاقة بين المعلم وطلابه وقد اتسمت هذه العلاقة بسمات منها: -

- أنها قائمة على الحنو والشفقة فهي علاقة والد بأبنائه.

يدكر الرافعي في كتابه "الأمالي" الفقيه أبي بكر العمركي يقول: كان والدي بديم ذكره، والتفاء عليه، ويقول رباني كما يربي الرالد الشفيق ولده وكان أستاذه في الأدب وجمع السير في الأخلاق، كما كان أستاذه في الفقه والحديث^(١).

- من مظاهر الشفقة والرحمة (الوالديّة):

نجد إكثارهم من مناداة طالب المعلم بـ"أبي" حيث الشيخ شمس الدين الخابري، قال: خرجت إلى زيارة الشيخ أبي بكر النالسي، ووقع في نفسي أن أسأله عن الروح، ولما حضرت بين يديه، أنسيت من هيئته ما كان وقع في نفسي من السؤال، فلما ودعته خرجت إلى السفر، فسير حلقي بعض الفقراء فقال لي كلم الشيخ فرجعت إليه، فلما دخلت علنه قال لي يا أحمد، قلت لبيك سيدي، قال ما نقرأ القرآن؟ قلت، بلى يا سيدي، قال اقرأ يا بني ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْآيَاتِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٥] يا نبي شيء لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ كيف يحوز لنا أن نتكلم فيه^(٢).

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ٢٠٣

(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ٢٠٣

فهذه القصة تدلنا على أسلوب تعامل المعلم مع طلابه بغض النظر عن كيفية معرفة الأستاذ لسؤال في خلد الطالب لم ينطق به قد تكون كرامة من كرامات الأولياء وقد أثبت الإمام السبكي كثيراً من هذه الكرامات نفع لهؤلاء العباد الزاهدين....

فخطابه فيه لين وشفقة وحنو يظهر من خلال مناداته بـ يا بُني، وكذلك ترفقه في الإجابة دون زجر أو نهر.

ولأن المعلم بمثابة الوالد، كان يعاملهم معاملة حسنة ويتعهدهم بالرعاية ويتفقد من يغيب منهم ويسأل عن سبب الغياب.

يقول الشيخ الذهبي في ابن أبي عسرون: "كان يدرس في زاوية الدولي. ويصلي صلاة حسنة... وسمعنا درسه مع أخي أبي عمر، وانقطعنا عنه، فسمعت أخي يقول: دخلت عليه بعد انقطاعنا، فقال: لمْ انقطعتم عنا: فقلت: إن أناساً يقولون أنك أشعري، فقال: والله ما أنا بأشعري(١).

٥ تعهدهم بالرعاية والمساعدة بما لديه من مال وجام

يدكر الإمام السبكي في ترجمته للفقير بهاء الدين أبو المحاسن ابن شداد "كان الملك الطاهر ينعم عليه بالأموال الجريلة فتكاثرت أمواله، فعمر بطلب مدرسة ثم دار حديث ثم أنشأ بينهما تربة، وصار يكثر الأفضال على طلبة العلم، والطلبة تقصده من البلاد الخلات اجتمعت فيه (العلم والمال والجاه) ومولا بخل بشيء منها(٢).

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ١٣٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٦١.

◦ ومن مظاهر هذه الشفقة (علاقة الوالديّة):

عدم إحجال الطالب واستعطام ما يذكره بين يدي معلمه ويؤممه أنه لم يكن يعرفها.

يذكر الإمام الصفدي حكاية عن الإمام علي بن عبد الكافي السنكي "كان كثير الحياء، لا يحب أن يخجل أحداً لقد قال له مرة بعض الطلبة بحصوري "حكي ابن الرفعة عن محلي وجهين في الطلاق. في قول القاتل بعد بيمينه إن شاء الله تعالى. هل هو رافع لليمين فكأنها لم توجد، أو تقول إنها انعقدت على شرط". فقلت أنا (الصفدي) هذا في الرافعي، أي حاجة إلى نقله عن ابن الرفعة. عن محلي فقال لي الشيخ الإمام: [اسكت] من أين لك؟ هات النقل وانزعج.

فقلت وأحصرت الحياء من الرافعي. وكان ذلك الطالب قد قام في الله حين أقبلت به، قبل أن أتكلم. قال الذي ذكرته في أوائل كتاب الإيمان من الرافعي. وأنا أعرف هذا. ولكن فقهه يسكين طالب علم، يريد أن يظهر لي أنه استحضر مسألة عربية يريد أنت أن نحله هذا ما هو ملحق (١).

نستج من هذه الحكاية عدة أمور:

- حسن تعامل المعلم مع طلابه وضرورة مراعاة مشاعرهم وقد تحلى هذا في موقف الإمام علي بن عبد الكافي السنكي مع طالب العلم الذي ذكره مسألة وهو يعرفها.
- في هذا الموقف تدريب وإعداد للمعلم في مهنته فأراد الإمام أن يعلم العقبة الصفدي أخلاق مهنة التعليم في حسن المعاملة مع الطلبة.

(١) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٢١٩-٢٢٠.

- ويقول الإمام السبكي في الفقيه وجيه الدين الدهنسي حكى أن بعض الطلبة جلس بين يديه. وقال له: انظر في أمري، لي أربع سنين في هذا الموضوع. وحفظت أربعة كتب. وجامعتي أربعة دراهم وكسر الهاء في الجميع. فقال له: يا فقيه، من بنى أربعتك على الكسر(١).

- وتظهر رحمته ورقته بقوله يا فقيه لئلا يخجله ننبه إلى خطأه بأسلوب المزاح.. فهذه مهارة لا بد من تدريب المعلمين عليها لما فيها من حسنات جنة.

◦ علاقة قائمة على الاحترام المتبادل بين المعلم والتلميذ:

فكما أن المعلم كان يحنو ويشفق ويعامل طلابه معاملة الأقران، كذلك الطالب فقد كان يحترم شيخه ويوقره ويخدمه في أحيان كثيرة.

قال ابن القليوبي في مصنف في مناقب أبي طاهر بن الحسن الأنصاري: إن الفقيه أبا طاهر قصد مصر للاشتغال، وكان على حالة من القلة، ونزل المدرسة الصلاحية المجاورة للحامع العتيق ولم يحصل له بيت، بل خزانة يضع فيها كتبه وثوبه وكوراً، وإبريقاً، وكان معه شيء من العنبر قال: فكنت أبخر ذلك الكوز، وإذا جاء المعد والتمس ماءً أتيت به بذلك الكوز تقريباً إليه وخدمة له(٢).

وهذا الفقيه بهاء الدين القمطي أحد عنه العلم خلق كثير منهم ابن دقيق العيد، وكان يجله، وسافر إلى الصعيد لجرد زيارته(٣).

وقال عبد القادر في الإمام السلفي... كان لا يبدو منه جفوة، لأحد ويجلس للحديث فلا يشرب ماءً، ولا يبصق، ولا يتورك ولا يبدو له قدم وقد جاووز المائة(٤).

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٥٠

(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ٥٠

(٣) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٩١

(٤) المرجع السابق، ج ٦، ص ٣٧

○ إخلاصه وتفانيه وهمته العالية في تعليم الطلاب:

يقول الإمام السنكي في الفقيه عماد الدين البليسي ... أنه ولي تصدير المدرسة الملكية الجوكندا بالقاهرة أقام بها يشغل الطلبة من النهر إلى العصر كل يوم خلا أيام الجمع والثلاثاء. لا يشغله عن ذلك شاغل، وكان مجتهداً في أشغال الطلبة، حتى إنه يأمرهم بالكتابة لما يشرحه لهم ويحفظونه ويستدعي عرض ذلك منهم (١).

وكان الشيخ المزي أعجوبة زمانه يقرأ عليه القارئ نهاراً كاملاً... يقط لا يغفل عند الاحتياج إليه... ولقد شاهدته الطلبة بنعس، فإذا أخطأ القارئ رد عليه... كأن شخصاً أيقظه (٢).

وقال ابن النجار: كان الإمام أبي الحسن الفارقي يتكلم على الناس في كل جمعة بعد الصلاة، بحامع القصر، يجلس على أحرثين، ويقدم قائماً إذا حمي في الكلام، وسئل أن يعمل له كرسي فأبى (٣).

وكذلك الشيخ كمال الدين بن قاصي شهيد كان محمداً في تعليم الطلبة، يشغلهم مدة مديدة بالجامع الأموي (٤).

وهذا كله يدلنا على حذية فقهاء الشافعية في تعليم العلم واحترامهم لأوقات الطلبة فلا يشغلونها إلا في إفادتهم وتعليمهم.

(١) المرجع السابق، ج ٩، ص ١٢٩

(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٩٧

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٣٧

(٤) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٢٤

○ علاقة قائمة على التجديد والتنويع بعيدة عن الجمود والروتين...

فكانوا ينوعون في مجلسهم العلمي بين الفنون لإبعاد الملل والشآمة عن نفوس المتعلمين لذلك نجد الإمام السبكي كان نخبة الزمان، جلسه لا يمله، درسه بستان حوى العلوم، ونزهة نزيل هم كل مهوم، ساعة في الفقه، وساعة في النحور، وساعة في حكايات مستطرفة وأشعار مستألفة^(١).

وكذلك الفقيه ابن خنبل جبرين كان رجلاً فاضلاً متفنناً يشغل الطلبة في غالب الفنون^(٢).

○ علاقة قائمة على احترام العلم وعقلية المتعلمين ومن مظاهر هذه العلاقة:

عدم التحرج من قول لا أدري أو لا علم لي بهذا.

ويروي الإمام السبكي عن الفقيه الحسن بن شرف شاه العلوي الاسترأبادي: أنه كان مدرساً بماردين هناك مدرسة تسمى مدرسة الشهيد، فدخلت عليه يوماً امرأة فسألته عن أشياء مشككة في الحيض. فعجز عن الجواب فقالت له المرأة: أنت عذبتك واصله إلى وسطك وتعجز عن جواب امرأة؟ قال لها: يا خالة لو علمت كل مسألة أسأل عنها لوصلت عديتي إلى قرن الثور^(٣).

لهذه القصة دلالات منها:

- تواضع العالم المعلم فلا يدعي الكمال في العلم.
- ملاطفة المعلم ورفقه بطالب المعلم حتى وإن أساء الأدب معه.

(١) المرجع السابق، ج ٩، ص ١٣٠.

(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٢٦.

(٣) المرجع السابق، ج ٩، ص ٤٠٨.

- عدم الحياء في العلم فلا يمنع الطالب حياته من السؤال والاستفسار.
 - اعتناء النساء بالتفقه في أمور الدين.
 - عدم الاكتفاء بعرض المعلومات بل يذكر الآراء حول المعلومة والقيام بتحليلها.
- وهذا ما كان يقوم به الفقيه محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي حيث قرأ شرح المهذب للصيدلاني في محلدات وأتى على حفظه جميعه، فرما كان يسأل عن مائة مسألة في محله في مواضع مختلفة، ويجيب عنها على الفور. من غير تردد ولا تخبط ويذكر ما فيها من القولين والتنبيه على الجوابين ويذكر علاناً^(١).
- والإمام الشيرزوري الموصلي، قال فيه ولده الإمام الرافعي... والذي ممن خص بعهة الدليل والدراسة في العلم حفظاً وضبطاً، ثم اتقناً وبياناً فهماً ودراية، ثم أداء ورواية^(٢).
- وكذلك العقبة العمراني اليماني قد يركز على اقتناع الطلبة بالمسائل - "فقد قبل أنه كان يقرر للطلال الفصل من المهذب ثم يعيده هو على الطالب حفظاً، ثم ينهه على خلاف مالك وأبي حنيفة خاصة، وقد يذكر معها غيرهما ثم يذكر احترازات (المهذب)، ثم يذكر الأدلة، ويقرر الأقيسة بأوضع عبارة، ويكررها بعبارات مختلفة إلى أن ترسخ في ذهن الطالب^(٣)."
- وهذا واضح عند الإمام علاء الدين الناجي "كان فقيهاً متقناً، سمعت بعض أصحابه يقول: كان الناجي لا يفني بمسألة حتى يقوم عنده الدليل عليها، فإن لم ينهض عنده قال مذهب الشافعي كذا أو الأصح عند الأصحاب كذا ولا يجرم^(٤)."

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٣١.

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٣١.

(٤) المرجع السابق، ج ٧، ص ٣٠٣.

علاقة تقوم على حرص المعلم على توجيه المتعلم إلى ما فيه خيرة وصلاحه من حيث اختياره التخصص المناسب لطبعه أو من خلال إثارة دافعيته للتعلم.

يذكر الإمام السبكي في ترجمة ابن الخضر بن موسى التونسي تفقه بدمياط على الأخوين الإمامين، أبي المكارم وأبي عبد الله الحسن [أبي الحسن] بن منصور السعدي، وسمع بها منهما، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان وهو الذي أرشده لطلب الحديث بعد أن كان مقتصراً على الفقه وأصوله، ثم انتقل إلى القاهرة (١).

وكذلك في حديث الإمام السبكي عن الإمام علي بن عبد الكافي السبكي ونقاش الطلبة من مراقد الخمول ومقاعد الونى عن أوائل الحمل، حتى رفضت لكواكبتهم عن مقلها الكرى (النوم) ورفضت سحائبهم إلا مواصلة السرى إلى أن أكثر العلم وطالته (٢).

وأيضاً ما ذكره الإمام السبكي في الإمام الغزالي - رحمه الله - قام بالتدريس في المدرسة الميمونة النظامية وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويرشدهم ويحتشد في نفسه (٣).

- تربية الأطفال تعليمهم:

في الحقيقة لم أعتز على نصوص من تراجم هؤلاء الفقهاء يتعلّق بتربية الطفل مباشرة وأما عثرت على إشارة إلى هذا في بداية طلب الإمام تاج الدين السبكي العلم، وهو كان صغيراً، فمعظم طلبه العلم عندهم كانوا يبدأون طلبه في وقت مبكر.

(١) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٠٣.

(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٥٢.

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٠٥.

يتحدث الإمام تاج الدين السبكي عن الإمام علي بن عبد الكافي السبكي تفقه في صغره على والده، وكان من الاشتغال على جانب عظيم... وكان الله تعالى قد أقام والده ووالدته للقيام بأمره... (١).

فهذا يدل على اعتنائهم بتعليم أبنائهم منذ الصغر. إيماناً منهم بأن العلم ينفع ويبقى إذا غرسناه في عقل الطفل.

- تعليم النساء:

اهتم فقهاء الشافعية بتعليم النساء حتى إن معظم الفقهاء أخذوا العلم عن شيخات عالمات. يقول الإمام السبكي: أخبرنا المشايخ والدي الشيخ الإمام - رحمه الله - فيما قرأه من لفظه والمسندة زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي قراءة عليها وأنا أسمع فاطمة بنت إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر. بهذه القراءة التي قرأها والدي - رحمه الله عليها - وأنا أسمع له قارئاً ومستمعاً (٢).

فهذا يدل على اعتناء المرأة بالتعلم والتعليم. فوجود هؤلاء النساء والرواية عنهن يدل على أن المرأة عندهم لها شأن عظيم في العلم.

وقد ذكر الإمام السبكي كثيراً من هذه الروايات التي تروى عن بعض النساء

المحدثات

وقد سمع الإمام ابن عساكر خلائق وعدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيع ومن

النساء بضع وثمانون امرأة.

(١) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٤٤

(٢) المرجع السابق، ج، ص.

- مؤسسات التعليم (التربية) عندهم:

أغلب الأماكن التي كانت تمارس بها العملية التعليمية من خلال دراساتي لتراجم هؤلاء الفقهاء هي المدارس والمساجد.

فهذا الفقيه أبو البركات الدمشقي كان مدرس الغزالية والمجاهدية، بنى له نور الدين مدرسة ودرس فيها^(١).

وكذلك ابن تمام السنكي: درس بالمدرسة الكهارية وولي الإعادة بدرس القلعة عند القاضي شهاب الدين بن عقيل، ثم عاد إلى الشام، ودرس بالمدرسة الدماغية، وولي نيابة الحكم عن والده ثم درس بالمدرسة الشامية البرانية، وكان يلقي بها دروساً حسنة مطولة، ثم بالمدرسة العذراوية^(٢).

وقد درس الإمام صدر الدين بن المرحل بدمشق بالشاميتين والعذراوية، درس في آخر عمره بالقاهرة بزاوية الشافعي، والمشهد الحسيني. وهو أول من درس بالمدرسة الناصرية^(٣).

وكذلك وجدت أن معلم فقهاء الشافعية ممن غلب عليهم طابع التصوف لذا حد أن الخواثق كانت من أماكن التعليم عندهم.

فالإمام علاء الدين القونوي درس بدمشق بالمدرسة الإندالية، ثم قدم القاهرة، وأقام بها مدة في غاية من الفقر مع غرة النفس إلى أن ولي تدريس الشرعية ومشيخة، الخانقاه الصلاحية^(٤).

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق، ج ٩، ص ٤١٢.

(٣) المرجع السابق، ج ٩، ص ٢٥٥.

(٤) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٣٤.

والفقيه محمد بن احمد الديباجي كان يعقد المجلس في جامع الخليفة
وبالدرهة النظامية، وينظر في مسائل الخلاف نظراً حسناً (١).
وقد اشتهرت مدارس عدة كانت تعقد بها مجالس العلم لذا يمكننا القول بأن
أهم مؤسسات التعليم عندهم هي:

- **المدارس:** ومن أشهر هذه المدارس التي درس بها الفقهاء الشافعية:
 - المدرسة النظامية في بغداد من أشهر مدرسيها الفقيه أبو الخير الطالقاني،
أبو العباس الأنباري، ابن شقران الرهري الديباجي، للإمام الغزالي.
 - المدرسة الطاهرية بالقاهرة: من أشهر مدرسيها ابن رزين الحموي.
 - المدرسة الرواحية والمدرسة المعرية أشهر مدرسيها شمس الدين الأصبهاني
 - المدرسة الناصرية الصلاحية من أشهر مدرسيها أبو العباس بن الحار.
 - المدرسة الكمالية القزوية من أشهر مدرسيها أبو العباس الأنباري
- خوانق الصوفية:**

فقد اتحد الإمام الغزالي في حوارته مدرسة لطلبة العلم وحاتقاه للصوفية^(٢).

- **الحلقات التي كانت تعقد في المساجد:**
 - حلقة صاحب حمص درس بها الفقيه حليل بن كيلكدي.
 - حلقة المجلس في جامع الخليفة درس بها الإمام الديباجي.
 - مسجد المنارة فوض التدريس فيها لإدريس بن حمزة الرملي.
 - جامع دبي أشرق درس فيه عند الله بن عبد الرازق بن زاهر.
 - الراوية الغزالية بدمشق، من أشهر مدرسيها أبو الحسن السلمي.

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ٨٩.

(٢) المرجع السابق، ج ٦، ص ٢١٠.

- حلقة في الجامع الأموي كان يشتغل فيها الإمام برهان للدين المراغي.
 - حلقة الجامع الظافري بمصر درس فيها القاضي أبو إسحاق.
- ولم يذكر شيء عن كيفية إدارة هذه المدارس. ولكن وجدت الباحثة نصاً جاء فيه: "أفتى ابن عدلان في وافق مدرسة على الفقهاء والمتفقيه ومدرس ومعيدين وجماعة عينهم، قال: ومن شروط المذكور أن لا يشتغلوا بمدرسة أخرى غير هذه المدرسة، ولا يكون لواحدة منه تعلق بمدرسة أخرى، ولا مباشرة بتجاوز ولا بزيارة يعرف للعقور في هذه المدرسة الجمع بينها وبين إمامة مسجد قريب منها"^(١).
- نستخلص من النص السابق:**
- يشترط في المدرسين والمعيين الذين يعينوا في هذه المدرسة الموقوفة على الفقهاء والمدرسين:
- عدم اشتغالهم بمدرسة أخرى غير هذه المدرسة وذلك لضمان تفرغهم الكامل للتعليم في هذه المدرسة.
 - عدم تعلقهم بمدرسة أخرى ولا مباشرة بتجاوز.
 - عدم اشتغاله بحرفة أخرى غير تجارة الكتب وذلك أيضاً للاطمئنان على غزارة علمه وتمكنه من العلم بصورة يفيد معها طلبه العلم لأن تعلق الشخص واشتغاله بأمور الدنيا قد يلهيه عن تحصيل العلم والسعي المتواصل لريادة وماكنة المستحقات في العملية التعليمية.
 - الترخيص بالجمع بينها وبين إمامة مسجد قريب وذلك لأن كليهما فيه تعليم.

(١) المرجع السابق، ج ٩، ص ٩٩

وهذا يدل على أنهم كانوا يعطونهم أحورهم على التعليم فلا يحتاجون
لحرية أخرى يتكسبون منها.

* التقويم:

اهتم الشافعية بعناية التقويم سواء ما يتعلق بتقويم المتعلمين أو تقويم
المعلمين. ما يتعلق بتقويم المتعلمين. يذكر الإمام السبكي في ترحمة الإمام
الذهبي "دخل إلى شيخ الإسلام ابن دقيق السعيد وكان شديد التحري في الإسماع،
قال له من أين جئت. قال من الشام. قال بم نعرف؟ قال بالذهبي. قال من
أبو طاهر الذهبي. فقال له المخلص. فقال أحسنت. فقال: من أبو محمد اليلالي.
قال سفيان بن عيينة. قال أحسنت. أقرأ ومكنه من القراءة عليه حينئذ إذ راد
تارفاً بالأسماء^(١).

من الدلالات التربوية لهذا النص:

- استخدام أسلوب ما يعرف بالتقويم التمهيدي حيث يختبر المعلم معرفة
الطالب السابقة لمعرفة مستواه العقلي والعلمي، عندما سألته عن الذهبي
واليلالي.
- استخدام أسلوب التعبير لطالب العلم إن أجاب بإجابة صحيحة وبالتالي
عدم بعنقه إن أخطأ. ويظهر هذا من قول الإمام ابن دقيق العيد للذهبي بعد
كل إجابة صائفة د (أحسنت).
- أما ما يتعلق بتقويم أداء المعلم فقد وجدت نصاً ربما يكون فيه إشارة
بدلالة على استخدام أسلوب التقويم للمعلم من قبل التلاميذ.

(١) المرجع السابق، ج ٩، ص ١٠٢.

يقول الإمام السكي في ترجمته للفقّه أحمد بن علي بن رفاعه كان سيدي أحمد في المجلس، فقال لأصحابه أي سادة أقسمت عليكم بالعزير سدحانه من كان يعلم في عيباً فليقله فقام الشيخ عمر الفاروقي. فقال: أنا أعلم عيبك؛ أن مثلنا من أصحابك فبكي الشيخ... (١).

فالدلالات التربوية لهذا النص هي:

اهتمام المعلم عند فقهاء الشافعية بالتأكيد على تقييم طلابه له وذلك لما لهدا التقويم من فائدة للمعلم لتصويب الخطأ الذي قد يندو إما في تعامله مع طلابه أو في أسلوب تدريسه مما يؤكد حرصهم على الارتقاء بالعملية التعليمية إلى أفضل مستوى.

احترام وتقدير طلبة العلم لأستاذهم وتواضعهم الشديد وعدم اغترارهم بأنفسهم.

اتصاف المعلم بصفات التقوى والتواضع وعدم حسن العطن بالنفس بل ادياميا دائماً بالتقصير.

* طرق وأساليب التدريس:

إن لطرق وأساليب التدريس التي يستخدمها المعلم لعرض مادته العلمية أكبر الأثر في إحاح عملية التعليم وتحقيق الأهداف المنشودة لذا اعتنى فقهاء الشافعية باستخدام الأساليب وطرق تدريس متنوعة ومن أهم هذه الطرق والأساليب.

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٠.

١. أسلوب المناظرة:

اعتنى فقهاء الشافعية بأسلوب المناظرة في التعليم لما لهذا الأسلوب من فائدة عظيمة في شحذ ذهن المتعلم وتنمية التفكير واستخدام الحجة والبرهان في إثبات الأحكام.

فكان فقهاء الشافعية جميعهم من فحول المناظرين وقد دارت بينهم مناظرات علمية كثيرة كانوا فيها من المتزمين بأداب المناظرة.

يقول الإمام السبكي: "إن ابن داود الكناني أفتى وناظر ودرس وأفاد وحررت مناظرة بينه وبين الشيخ الإمام الوالد - رحمه الله - في حد الورع. لا يحضرنى منها إلا أنه ادعى أن الورع ترك الشهوة، وإن الشيخ الإمام الوالد قال: الورع مراتب أَدْنَاهَا. اجتناب الكائن^(١)."

وكذلك وجد أن الفقيه سيف الدين الأمدي كان يعقد محلساً للمناظرة^(٢).

وكان بعضهم يفتون بعضاً في المناظرة: يقول الإمام السبكي "وكان الباحي أدكى وأقدر على المناظرة من الهندي^(٣)."

وقد كان هؤلاء المناظرين يلتزمون بأدب المناظرة.

فقد كان الفقيه أحمد بن محسن ابن ملي إذا حضر عند أحد درسا سكب إلى أن يفرغ ذلك المدرس، ويقول ما عنده مما بينه وبينه فيبتدأ ابن ملي ويقول: ذكر مولانا كيت وكيت، ويذكر جميع ما ذكره، ثم يأخذ في الاعتراض والبحث^(٤).

فإذا كان أدبهم في المناظرة الوصول للحقيقة مع احترام كل من المتناظرين

(١) المرجع السابق، ج ٩، ص ٩٨.

(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٠٧.

(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٤٠.

(٤) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣١.

لرأي الآخر فما كان اختلافهم في الفكر والرأي ليخرجهم عن أدب الحوار والنظار.
٢. أسلوب المذاكرة والسماع:

وقد استخدم هذا الأسلوب بكثرة نظراً لأن المادة العلمية غالباً ما كانت
نصوص من القرآن والسنة ومسائل الفقه فقد قرأ ابن الجميري القراءات العشر
على ابن أبي عسرون (١).

وقال السلفي: قرأ لتنوشي علي كثيراً من الحديث وعلقت عنه فوائد أدبية.
وسمع الحديث وقرأ القرآن على-أبي الحسن الخشاب(٢).

وقد أورد الإمام السبكي كثيراً من هذا القبيل الذي يدل على استخدامهم
أسلوب المذاكرة والقراءة على الشيخ أو السماع منه.

يقول. أخبرنا الوالد - رحمه الله - قراءة عليه. وأنا أسمع أخبرنا شيخنا أبو
الحسن الباجي بقراءتي عليه عوداً على بدء أخبرنا أبو العباس.. (٣).

وهذا الفقيه أبو المظفر الخوافي تفقه على إمام الحرمين وأخصاء طلابه
بداكرة في ليله ونهاره... (٤).

٣. أسلوب التكرار:

كانوا يعتمدون أسلوب التكرار في الدروس وذلك لما له من فائدة في ترسيخ
المعلومة في الذهن.

فقد كان العقية أبو علي الفارقي يحفظ المبدب والشامل وكان يقول لنا إذا
حضرنا للدرس بين يديه: كررت البارحة الربع العالاني من المهدب وكررت البارحة

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٠٣.

(٢) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٦.

(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٤٥.

(٤) المرجع السابق، ج ١٦، ص ٦٣.

الأولى الربع الفلاني من الشامل(١).

وعن الإمام الكيا الهراسي قال فيه عبد الغافر: ... كان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به. وكان مواظباً على الإفادة والاشتغال.

وعن الكيا. قال. كانت في مدرسة سَرْهَنْك نيسابور قناة لها سبعون درجة وكنت إذا حفطت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة مرة في الصعود والنزول. قال. وكذا كنت أفعل في كل درس حفطته، وفي بعض الكتب أنه كلما كان يكرر الدرس على كل مرقاة من مراقي درج المدرسة النظامية نيسابور سبع مرات، وأن المراقى كانت سبعين مرقاة وكان يحفظ الحديث ويناطر فيه^(٢).

وذكر عن الإمام ابن أبي الطاعة القشيري ... ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين وربما تلا آية واحدة فكررها إلى مطلع الفجر... استمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ، فوصل إلى قوله ﷻ: **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** ﴿١٠١﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١] قال فما زال يكررها إلى طلوع الفجر^(٣).

٤. استخدام وسائل إيضاح وشرح وبيان للموقف التعليمي:

فلم يقتصر فقهاء الشافعية أثناء التعليم على طرح المعلومة للطلاب بل كانوا يسطرونها ويوضحونها بالشرح والبيان.

فتارة باستخدام أسلوب التمثيل من الدبنة الصعبة "كان الشيع أبو طاهر محمد بن الحسين الأنصاري مرة في الدرس في باب البينة إلى أنه يستحب لمن وهب لأولاده أن يسوي بينهم، ثم أخذ يمثل بابي السطحي، وهما أخوان طالبان في

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ٥٨.

(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ٢٣٢.

(٣) المرجع السابق، ج ٨، ص ٢١١.

الدرس. فقال: كما لو وهب والدُ هديين لأحد هما دواة وترك الآخر. فقال أحدهما:
والله يا سيدنا هكذا اتفق(١).

وأحياناً يتم من خلال الإيضاح لتصويب ما يقع من خطأ من الطلبة.
يقول الإمام السبكي: حضرت عند الإمام المزي قارئاً عليه فانتهى إلى حديث
المصراة قال: "لا تُصْرُوا الإبل والبقر والغنم" بفتح التاء وضم الصاد. فقال له الشيخ:
تُصْرُوا" أي بضم التاء وفتح الصاد. فقال القارئ: وهو من فضلاء عصرنا كيف؟
قال: مثل نُصَلُوا، نُزَكُوا، وأخذ يسترسل في ذكر أخوات اللفظة^(٢).

* المناهج والمقررات الدراسية:

لاحظنا من خلال دراسة ترجمة هؤلاء الفقهاء أنهم كانوا يشغلون الطلبة
بكافة العنون ولكن هذا لا يعني أنها كانت كلها بنفس الرتبة والأهمية لذا وحدنا
أنهم كانوا يركزون على عدة علوم منها:

أ. علوم الدين كالقرآن والحديث والتفسير والفقه:

بلاخط من أجل اهتمامهم كان بتدريس هذه العلوم لأنها تعتبر المقصد من
التعليم عندهم وهو تعريفهم بدينهم ونقريهم إلى الله عز وجل.

وقد قيل في الإمام صلاح الدين الصعدي شعراً.

منازع ثوب النقى حصاً وتقوى الله حُمة

متفهم بحر إذا حاربه لم تدارفه

إلى القول

وعلوم الدين لم يُحلَّ حايباً ورسماً وسمة(٣)

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٤٢٩.

(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١١.

ويقول الإمام السبكي في الإمام أبي الخير الطالقاني: كان كثير الخير مرفر
 الحط من علوم الشرع حفظاً وجمعاً ونشراً^(١).
 ب. العلوم المساعدة لمعرفة علوم الدين كالنحو والصرف واللغة:
 فقد كان فقهاء الشافعية متضلعين بعلوم اللغة والنحو والصرف فابن
 الحيران كما يقول عنه الإمام السبكي كان يعرف اللغة والفقه والشعر^(٢).
 وكما ذكرنا سابقاً عن الفقيه عماد الدين البلدي كان يشغل الطلبة ساعة
 في الفقه. وساعة في النحو، وأشعار مستلطفة.
 وفي قصيدة للإمام علي بن عبد الكافي السبكي يشير إلى أهمية تعلم النحو
 فيقول:

وتعلم النحو الذي يدل العنى

من كل فهم في القرآن مسدد^(٣)

نعلم النحو يساعد على فهم معاني القرآن الكريم ودلالاته وأحكامه.
 ج. العلوم الدنيوية التي سيستفيد منها الإنسان في أمور حياته كالطب
 والخطابة والأنساب..

فمن شعر الإمام علي بن عبد الكافي السبكي

أد السعيد العام الأديب	أعم فدنك النفس يا حبيب
ومك مشكلاتنا وحلها	وهر الذي جرى العلم كلنا
والمحر والتمريف والخدبت	كالفقه والأصليين والتوريت

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص.

(٢) المرجع السابق، ج ١٧، ص ٣١٨.

(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٧٧.

إلى أن يقول:

والطب للأمداد والقلوب وكل علم نافع مطلوب (١)

وهكذا نرى وأنهم يحثون على طلب كل علم نافع للإنسان في دينه ودنياه.

ونرى أن الفقيه أبا نصر الخرجدي أنه قرأ طرفاً من الأدب وأمعن في حفظ التواريخ والفتوح والملاحم وكان يحفظ شيئاً كثيراً من التنف والطرف نظماً وتثراً ومواليد الناس ووفياتهم (٢).

سكنى المدرسين (المعلمين):

لما كان البحث عند فقهاء الشافعية كان لا بد أن تتعرض لأماكن سكنى هؤلاء الفقهاء.

لقد تبين لي من خلال دراستي لطبقات الشافعية الكبرى لهؤلاء الفقهاء وجدت أن أغلب المعلمين كانوا يقيمون في الأماكن التي يدرسون فيها. ومن هؤلاء المعلمين:

- الفقيه إدريس بن حمزة بن الرّملي فقد فوض إليه التدريس لأصحاب الشافعي في مسجد المنارة وسكنها إلى أن توفي بها (٣).

- الفقيه عماد الدين البلبيسي ولي تصدير المدرسة الملكية الجوكندا بالقاهرة أقام بها.. (٤).

- الفقيه علي بن محمد الأرجيشي أقام بحلب معيداً بمدرسة الزجاجين فانعأ باليسير من الرزق فإذا زيد شيئاً لم يقله، ويقول في الواصل إلي كفاية وكان

(١) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٤٥.

(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ١٥٥.

(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص ٤١.

(٤) المرجع السابق، ج ٨، ص ١٢٩.

مقدار ذلك اثنتي عشر درهماً، قال: لقينته وأقيمت معه بالمدرسة فوجدته كثيراً
العبادة والصمت^(١).

- الإمام شمس الدين الأصبهاني: قدم مصر فدرس بالمعزية وأقام بها إلى حين
وفاته^(٢).

علاقة المعلمين بعضهم ببعض:

كانت العلاقة بين المعلمين قائمة على المودة والاحترام بين هؤلاء الفقهاء وكلّ
يتدر علم الآخر ورأيه وإن كانوا يختلفون في بعض الأحيان فكان الإمام علي بن
عبد الكافي السكي كثير الأدب مع العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين^(٣).

وذكر الحافظ أبو الفضل طاهر، أنه سمع أنا الحسن إدريس بن حسرة
يقول لما دخلت بغداد واشتغلت بالدرس في حلقة الشيخ أبي إسحاق دخل علي في
عصر الأيام فيرى في يدي شيئاً مما علقت عن الشيخ نصر فاعتجب به وقال لم أكن
أظن أنه بهذه الدرجة^(٤).

ويذكر الإمام تاج الدين السكي أنه كان كبير الملازمة للدهلي أما المزي فما
كان يمضي إليه غير مرتين في الأسبوع وذلك بسبب ملازمة الدهلي له.. يقول وكان
الوالد يحب [لـ] كان أميري على العكس أعني يحب أن لازم الإمام المزي أكثر من
ملازمة الدهلي لعلمة المزي عنده^(٥).

فهذا يدل على توقير العلماء بعضهم لبعض واحترامهم لقدمهم وعلمهم.

(١) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٦٩.

(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٨٤.

(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٢٢٠.

(٤) المرجع السابق، ج ٧، ص ٤١.

(٥) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٩٨.

* أهم ما اتسم به فقهاء الشافعية:

من خلال تنصي لسيرة حياة هؤلاء الفقهاء وجدت لهم صفات وخصائص كثيرة من حسن خلق وتقوى ودين وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وأدب جم إلا أن أهم ما اتصف به هؤلاء الفقهاء هو الهمة العالية في تحصيل العلم ونشره وقد تجلت هذه الصفة بعدة مظاهر:

١. عدم اكتنائهم بعلم بل تزلعتهم بعلم مختلف:

فقد جمعوا بين الفقه واللغة والشعر والتاريخ والنحو والطب، يقول الإمام

السلفي في الإمام أبي بكر بن السّنعاني:

هو المرزبي إمام الفتاوى وعلم الحديث الترمذي
وجاحظ عمره في النثر صدقاً وفي وقت التثاعر نخري
وفي النحو أخيل بلا حلاف وفي حفظ اللغات الأصمعي^(١)

وكذلك الإمام أبو أيوب الينابي الفاشي فقد جمع علوماً في التفسير والقرآن

والحديث واللغة والنحو والكلام والفقه والخلاف والنور والحساب^(٢)

ويذكر الأديبي الإمام علاء الدين القونوي يقول: شيخ الدهر وعالمه ومن

شادت به أركان التصوف، إن ذكر التفسير فالرمخشني أو الفقه فالطبري، أو

البيان والسديع فالسكاكي والجديري، أو النحو فالجباني، أو الجدل والحلاف

فالنسفي والعميدي يسلمان له فيه، أو المخلق فالخويحي والانهري يتلقيانه من

فيه، مع عقل وافر ونسل طاهر^(٣).

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ٩.

(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ٨٦.

(٣) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٢٣.

ب. كثرة التصانيف والمؤلفات التي اشتغلوا بتصنيفها:
فقد كان لكل فقيه مؤلفات كثيرة حتى قال الحافظ في الإمام تاج الدين
الحميدي أنه كان يأخذ الكتاب بالثمن اليسير فلا يزال يخدمه حتى يصير من
الأمهات (١).

وللإمام الذهبي تصانيف كثيرة منها: سير أعلام النبلاء ومختصر تهذيب
الكمال للنزي، وطلقات القراء، والمجرد في أسماء رجال الكتب السنة، ومختصر
المستدرک للحاكم (٢)، وغيرها.

وللإمام الرازي تصانيف كثيرة أيضاً منها: "التفسير"، و"المطالب العالية"
و"نباية العقول"، و"الأربعين"، و"المحصل"، وغيرها (٣).

هذه بعض من تصانيفهم لا نريد الإسهاب في ذلك.
ج. وقارهم وهيبتهم أثناء الدرس واستغلال أي فرصة لتعليم
الطلبة وإفادتهم وإرشادهم:

اتفق أن جلس الإمام الغزالي يوماً في صحن الجامع الأموي وجماعة من
المفتن يتنصتون في الصحن. وادا بقروي أتاهم مستفتياً، ولم يردوا عليه حذاماً،
والغزالي تنامل، فلما رأى الغزالي أنه لا أحد عنده جوابه، وعز عليه عدم إرشاده
دعاه وأجابه، فأخذ القروي يهزأ به، ويقزل إن كانا المفتن ما أحاسوني. وهذا فقير
عامي، كيف نحينني، وأولئك المفتون ينظرونه.

فلما فرغ من كلامه معه دعيا القروي. وسألوه مالدي حدثك به هذا العامي

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق، ج ٩، ص ١٠٢.

(٣) المرجع السابق، ج ٨، ص ٨٨.

فشرح لهم الحال. فجاءوا إليه، وتعرفوا به واحتاطوا به وسألوا أن يعقد لهم مجلساً، فوعدهم إلى ثاني يوم، وسافر من ليلته (١).

دور الخلفاء والأمراء في عملية التعلم:

يلعب البعد السياسي دوراً مهماً في عملية التعلم ذلك لما للخليفة أو الحاكم من سلطة لتمكنه من تشجيع العلم والعلماء أو معاداة العلماء وبحاربتهم.

فكما أن هناك حكماً يقعون موقف العداء من العلماء فقد كان من بينهم أيضاً من يجل العلماء ويقدر العلم وقد تجلى ذلك في مظاهر عدة منها:

- حضورهم محالس العلم والاستفادة منها في ما يتعلق بأمر الحكم منهم الملك الناصر، قال الموفق عبد اللطيف:

وجدت مجلساً حفاً بأهل العلم، يتذكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ... وكان يحفظ (الحماسة)، ويظن أن كل فقيه يحفظها (٢).

- إنفاقهم على العلماء من الأموال والعطايا

فقد كان الملك الطاهر ينعم على العالم أبي المحاسن بن شداد الأسيوطي الجزيلة فتكاثرت أمواله حتى عمر بطل مدرسة ثم دار حديث (٣).

- حنهم للعلماء وإحضارهم إلى محالستهم.

منهم السلطان شهاب الدين الغرنوي فقد كان أحد المشكوريين من الملوك الموصوفين بمحنة العلماء وإحضارهم للمناظرة عنده وقد كان يقبل الوعد منهم.

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٩٩.

(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ٣٤٨.

(٣) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٦١.

ويقول الإمام السنكي:

وعدا يرمأ الإمام الرازي بحضرة السلطان الغزنوي وحصلت له حال،
فاستغاث يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى، ولا تلبيس الرازي يبقى. ﴿... وَأَنَّ
مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ...﴾ [غافر: ٤٣] (١).

- اهتمامهم ببناء المدارس:

فقد اهتم كثير من الخلفاء والأمراء ببناء المدارس وتفويض للاشتغال بها.
يقول الإمام السنكي: لما بنى الأمير ناصر الدين القيمري مدرسته فووض
تدريسها إلى الإمام أبي الحسن الشهرزوري وإلى أولي الأهلبة من دريته (٢).
وقد بنى الملك نور الدين المدارس لابن أبي عمرون حلب وحماد، وحمص،
وبعلبك (٣).

وبنى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل مدرسة الصالحة المعروفة
بين القصرين بالقاهرة فووض تدريس الشافعية بها إلى الشيخ عر الدين بن عبد
السلام فاشهرها وتصدى لنفع الناس بعلومه (٤).

وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على اعتناء بعض أعلى اعتناء بعرض العلم
والتعليم وبشجيع وإكرام العلماء وتبقيهم.

- تقويم الفكر التربوي عند فقهاء الشافعية:

أثناء دراستي للفكر التربوي عند الشافعية استرعى اهتمامي بعض النقاط

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٠.
(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٠٠.
(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص ١٣٤.
(٤) المرجع السابق، ج ٨، ص ٢١١.

التي أرجأت نقاشها إلى آخر الصفحات في هذا البحث المتواضع وهي قليلة إن شاء الله تعالى:

- مكانة المعلم وأهميته:

لاحظت وهذه ليست ملاحظات على فقهاء الشافعية فحسب بل على معظم مدارس التعليم وهي المبالغة الزائدة في تقديس المعلم والحرص على أخذ العلم منه. ونحن لا ننكر ما للمعلم من أهمية ومكانة إلا أن المعلم اليوم لم يبق المصدر الوحيد للمعلومات بل تغير دور هذا المعلم من دور الملقن والموضح لمسائل العلم إلى دور المنظم والموجه لسير العملية التعليمية وإثارة دافعية الطلبة للتعلم. ولا ننسى وجوده كقدوة لطلابه في السلوك الأخلاقي والعلمي والديني^(١).

حرصهم على تحصيل العلم:

بالرغم مما للعلم من أهمية وفائدة عظيمة تعود على الإنسان في الدنيا والآخرة إلا أننا نرى مبالغة هؤلاء العلماء بتحصيل العلم ولو أدى بهم إلى التقصير والتفريط في الحقوق المترتبة عليهم تجاه أهلهم وأولادهم وزوجاتهم. كما برنا في قصة الإمام علي بن عبد الكافي السكي الذي توكل والده وعمه بشؤونه هو وزوجته وألزموها عدم مطالته بأي أمر من أمور الدنيا حتى أنه كان لا يراها إلا وقت النوم.

ولا شك أن هذا إحلال يهدف العلم فنحن نتعلم لنعرف مالنا من حقوق وما علينا من واجبات والعلم الذي يمنعنا من القيام بمسؤولياتنا هو علم ليس بنافع، ذلك أن العلم لا بد أن يشجعنا على القيام بمهامنا ومسؤولياتنا تجاه أزواجنا

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٠.

وأولادنا والأخرين من حولنا، فيجب أن لا يغيب عن أذهاننا مبدأ الميزانة في كل شيء.

- عدد الشيوخ:

لقد لاحظنا مبالغة في عدة الشيوخ الذين كانوا يأخذون العلم عنهم حتى بلغ شيوخ أحدهم سبعة آلاف شيخ... فنحن لا ننكر ما لكثرة الشيوخ من فائدة في تحصيل علوم كثيرة، لكن أن يصل عدد الشيوخ إلى هذا الحد فهو أمر مبالغ فيه وربما كان يستهويهم العدد الكبير للشيوخ.

استخلاصات عامة

بعد استعراضنا لأهم الجوانب التربوية عند فقهاء الشافعية من خلال كتاب طنقات الشافعية الكبرى للإمام باح الدين السبكي ووجدنا أنه كان حافلاً بكبير من هذه الجوانب:

كأهمية تحصيل العلم ونشر وأهمية وجود المعلم لأحد العلم عنه وكذلك تعرضنا لإعداد هذا المعلم من النواحي الدينية والحلقية والمهنية وكذلك عرفنا على علاقة المعلم بالمتعلم والمتعلمين بعضهم ببعض وكذلك تحدثنا عن تعليم النساء وتربية الأطفال وأهداف التعليم وطرق وأساليب التدريس عندهم وبمظاهر اعتناء بعض الحلقات والحكام بالعلم والعلماء وتحدثنا عن مؤسسات التعليم عندهم.. مما يؤكد لنا أهمية دراسة هذا التراث التربوي ومحاولة توضيحه وتحليله وبقده ليسهم في عملية التربية والتعليم بشكل فاعل في عصرنا هذا.

مصادر الجزء الثاني ومراجعته

١. ابن تغرى بردى وجمال الدين أبو المحاسن. المنهل الصافي. تحقيق محمد أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
٢. الرازي (أبو محمد بن أبي حاتم، ت ٣٢٧). آداب الشافعي ومناقبه. تحقيق محمد الكوثري، بيروت، دار الكتب العلمية. (د. ت).
٣. السبكي (تاج الدين أبو نصر، عبد الوهاب بن علي). طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلوي، ١٩٦٧.
٤. الصفدي، (صلاح الدين خليل بن أيبك). الوافي بالوفيات، بيروت، المعهد الألماني، ١٩٩٢.
٥. عبد الحلیم الجندي، الإمام الشافعي، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، (د. ت).
٦. العسقلاني (أحمد بن حجر، ت ٨٥٢ هـ). الدرر الكامنة. تحقيق محمد سيد حاد الحق، ط ٢، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٩٩٦م.
٧. ابن العماد الحنبلي (أبي العلاء، عبد الحي، ت ١٠٨٩ هـ). شذرات الذهب، بيروت، دار المسيرة، ١٩١٩م/١٣٩٩ هـ.
٨. محمد أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ت).
٩. محمد مصطفى أمبابي الجديد في تاريخ الفقه الإسلامي، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٦م.